

علاقة الإعجاز القرآني بقضية التشكك

تمهيد

■ إن عناية حركة الاستشراق بالتراث العربي الإسلامي وحضارته قد هافت كل الجهود التي قدمها الاستشراق لاختراق أهالي الشرق الفكرية والحضارية . واكتشاف أسباب قوته ومقوماته ... لقد أدركت الدوائر الاستشراقية أن الحضارة الإسلامية تشكل حضارة العصور الوسطى التي ربطت العالم القديم بالعالم الحديث . ومن ثم ساهمت في تحضير شعوب الأرض ، وإيقاظ العقلية الأوروبية التي تنشعر بانها . ابتداء من الفلسفة والرياضيات إلى الطب والزراعة : مدينة لتلك الحضارة بشيء كثير .

من هنا انطلقت جهود المستشرقين للتقريب عن مصادر تراث هذه الحضارة ، لفحصه ، وإخضاعه لما استحدثوه من مناهج ، لكن عقليتهم المشدودة إلى المادة ، والواقع ، والتجريب : لم تستطع أن تهضم المناحي الغيبية الميتافيزيقية في روحانية هذا التراث ■

القاطع على صحة النبوة الإسلامية ، ولا شك أن إقامة الدليل على الإعجاز القرآني بشقيه الكلامي والبلاغي ، كان يهدف إلى ترسيخ النص القرآني في كل بيئة حضارية جديدة : كما يحمل على ترسيخ الكيان العربي الإسلامي في وجه كل غزو فكري زاحف . ومناطق العناية بالنص القرآني يعود إلى ما أشاعه من حركة في الضمير والفكر والشعور ، وإلى ما تميز به أسلوبه من ثراء في العبارة وخصوصية في مناهجي القول تجعله دائم التجدد والحيوية والتشويق .

(1) القرآن معجزة لغوية
إن النص القرآني منهج محروس بمعجزة بيانية . تحدى بها محمد بن عبد الله - رسول الإسلام ﷺ - قومه . ومهما اختلفت مناهج دراسة النص القرآني ، فإنها تنتهي إلى قطبين أساسيين : اللغة والفكر . فالقرآن كتاب أدبي وعقدي في الوقت نفسه ،

وسمياً إلى كشف المؤثرات التي تركها هذا الأدب في آداب أوروبا المختلفة بجانب ما تركتها آداب اليونان والرومان من جانب آخر ...
ومما يثير الانتباه أن جل المستشرقين جربوا حظوظهم في البحث في مجال الأدب الجاهلي . فمن أساطين الاستشراق الذين تناولوا الشعر الجاهلي بالدرس نذكر فولكه ، وبروكلمان ، وبلاشير ، وليال ، ودلافيدا ... وتميز موقف المستشرق الإنجليزي مرجليوث بالتطرف في نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي إذ رفض هذا الأخير جملة .
فما هي علاقة إعجاز القرآن بقضية التشكك في الشعر الجاهلي ؟

[١] قضية الإعجاز البياني للقرآن

الإعجاز القرآني قضية ترتبط بجوهر الإسلام عقيدة وفكراً ولغة : إذ كان إثبات هذا الإعجاز هو البرهان

وكان لا بد أن تثار قضية الإعجاز القرآني في مجال الصراع بين الشرق والغرب ، وأن تشغل جانباً من تفكير العقل الحديث ، لأن النص القرآني يشكل قطب الرضى للحضارة الإسلامية ، ولأن الإقرار بإعجاز القرآن هو إقرار ضمنى بمصدره الإلهي ، وإقرار بشرعيته ، واستمراريته ، وإشعاعه الحضاري ، وإثبات لوجود معتنقي تعاليمه .

كما أثارت قضية التشكك في الشعر الجاهلي في العصر الحديث . في إطار اهتمام المستشرقين بالأدب العربي ، لصلة هذا الأدب بكتاب الإسلام الأكبر ، ولتحمل لغة العرب أسرار الإعجاز القرآني ، ولأهمية هذا الأدب في دراسة الشخصية العربية . من هنا ركزت الحركات الاستشراقية جهودها على الأدب العربي قصد الوصول إلى معرفة العرب وانجاساتهم لغرض فلسفته ، وتوجيهه إياهم من جانب ،

مجلة الأسماء رمضان ١٤١٤ هـ